

## **-التصور القومي العربي في فكر جمال عبد الناصر 1952-**

**1970 على ضوء خطابه الرئاسية**

**قدور بوجلال**

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - جامعة معسكر،

boudjellal.kadour@ univ-mascara.dz

تاريخ الإرسال: 2021/01/06؛ تاريخ القبول: 2022/06/28

**The Arab nationalist perception in the thought of Jamal  
Abdel Nasser from 1952-1970 in light of his presidential  
speeches**

**Kaddour Boudjelal**

### **Abstract:**

National thought occupies a great and dangerous role in peoples' lives, as it draws the main lines in the personality and life of man. It helps to progress and pushes its wheel towards the runways of pride and sovereignty, expresses the reality of the times, and reveals the demands and problems of the people, as well as their struggles with client internal forces and external foreign powers. Hence, thought was an extension that connects the past with the present and helped us with clear future visions.

And the thought of Jamal Abdel Nasser can only be an awareness of the era and an understanding of it. Before the emergence of Jamal Abdel Nasser, the Arab nation was part of it affiliated with the Ottoman state and then moved to the control of the British and French empires, and parts of it are under Italian and Spanish control. As the Sykes-Picot Agreement clearly expressed a rare intelligence in the fragmentation of the Arab world, thus controlling the European West over the will and freedom of the Arab people.

Freedom was a natural and automatic requirement of the masses of the Arab nation, who see that a person is born free on their land and it was natural for the single Arab people not to recognize the artificial borders established by colonialism on their land, and therefore the call to unity is the demand of the Arab masses an authentic call and a natural call against the division that Imposed by the French and British foreign powers.

### key words:

Arab nationalism; Jamal Abdul Nasser; Arabic Union; the Arabic nation; The Nazarene Discourse.

### الملخص:

يحتل الفكر القومي دورا كبيرا وخطيرا في حياة الشعوب، هو يرسم الخطوط الرئيسية في شخصية وحياة الإنسان. فهو يعين على التقدم ويدفع عجلته نحو مدارج العزة والسيادة ويعبر عن واقع العصر، ويكشف عن مطالب الناس ومشكلاتهم، وكذلك صراعاتهم مع قوى داخلية عميلة وقوى دخيلة خارجية. ومن هنا كان الفكر امتدادا يصل الماضي بالحاضر وعونا على رؤى مستقبلية واضحة.

و فكر جمال عبد الناصر لا يمكن أن يكون إلا وعيا بالعصر و فهما له، فقد كانت الأمة العربية قبل ظهور جمال عبد الناصر جزء منها تابع للدولة العثمانية ثم انتقل إلى سيطرة الإمبراطورية البريطانية و الفرنسية، وأجزاء منها خاضعة لسيطرة إيطالية و إسبانية. إذ أن اتفاقية سايكس- بيكو عبرت بجلاء عن ذكاء نادر في تجزئة الوطن العربي، مسيطرا بذلك الغرب الأوروبي على إرادة وحرية الشعب العربي. إن الحرية كانت مطلبا طبيعيا وتلقائيا عند جماهير الأمة العربية، التي ترى بأن الإنسان يولد حرا على أرضها وكان طبيعيا ألا يعترف الشعب العربي الواحد بالحدود المصطنعة التي أقامها الاستعمار على أرضه، ولذا فإن الدعوة إلى الوحدة مطلب الجماهير العربية دعوة أصيلة ونداء طبيعي ضد التجزئة التي فرضتها القوى الأجنبية الفرنسية و البريطانية.

## الكلمات المفتاحية:

القومية العربية؛ جمال عبد الناصر؛ الوحدة العربية؛ الأمة العربية؛ الخطاب الناصري.

### مقدمة:

عبد الناصر أكد دائما أن وحدة الموقف العربي شرط أساسي، للقضاء على الحملة الصليبية الجديدة. وأن الوحدة العربية ليست مجرد أمنية قومية بقدر ما هي ضرورة مصيرية، فالناصرية فكر حي يقوم على الممارسة، إذ هي حدث ثوري حاسم في تاريخ العرب و العالم، ما دام هذا التفكير ينشد التحرر انطلاقا من القيود وانعتاقا من العبودية إلى الحرية. فما أسباب الدعوة إلى الوحدة عند جمال عبد الناصر؟ وهل الدعوة إلى الوحدة العربية مبدأ أم مصلحة؟ أم هما معا في الوقت ذاته؟ ما حقيقة الخطاب الناصري؟ وكيف انتقل جمال عبد الناصر من مفهوم أمة وقومية عربية إلى وحدة عربية؟

### جمال عبد الناصر من أمة و قومية عربية إلى وحدة عربية:

كانت طلائع الوعي العربي وبدايات تسريبه عند جمال عبد الناصر (أنظر التعليق رقم 1) قد بدأت وهو مازال تلميذا في المدرسة الثانوية، فعبد الناصر لم يستطع أن يوقف طوفان الإحساس بعاطفة الانتماء العربي، إذ كان يجد نفسه مندفعاً للخروج مع المتظاهرين في اليوم الثاني من شهر نوفمبر في كل عام احتجاجاً على "وعد بلفور"، الذي منحتة بريطانيا لليهود ومنحتهم به وطناً قومياً في فلسطين. إذ يقول جمال عبد الناصر في هذا الإطار: "وأنا أذكر فيما يتعلق بنفسي أن طلائع الوعي العربي بدأت تتسلل إلى تفكيري وأنا طالب في المدرسة الثانوية، أخرج مع زملائي في إضراب عام في الثاني من شهر نوفمبر/ تشرين الثاني من كل سنة احتجاجاً على وعد بلفور، الذي منحتة بريطانيا لليهود ومنحتهم به وطناً قومياً في فلسطين اغتصبته من أصحابه الشرعيين". (ناجي علوش، 1997: 485-486).

لا يعقل أن يكون الوعي القومي لجمال عبد الناصر قد قفز مباشرة بعد قيام ثورة 23 جويلية 1952 بل هو نتاج أفكار جيبسة عاشها في صغره، وفي قرية الخطاطبة (أنظر التعليق رقم 2) بالذات اكتشف عبد الناصر سر المأساة التي تعصف بالواقع الفلاحي المصري، وساعده على ذلك التصاقه أساسا بالبيئة الشعبية واصطدامه بتناقضاتها. لقد عاش عالما فلاحيا مصغرا يتسلط عليه التحاما لاستغلال الإقطاعي في صور مختلفة، فهذا الواقع الاجتماعي للقرية المصرية الذي النقطة باصرة جمال عبد الناصر ووعيه انعكس بكل ظلاله وأبعاده على تفكيره وحفر أخايدده الخاصة في ذهنه. الأمر الذي تجلى فيما بعد في تعامله مع القضايا الوطنية والقومية المصرية، وبأن من بين أمور عديدة في تأكيده على العزة و الكرامة وعلى شعاره الأثير: "ارفع رأسك يا أخي لقد مضى عهد الاستعباد". (بثينة عبد الرحمن التكريتي، 2000: 63-64).

لم تصبح القومية العربية فكرة سياسية في ذهن جمال عبد الناصر، إلا في الكلية الحربية عندما كان يدرس الاستراتيجية والتاريخ العربي، حيث أدرك وقتها من تلك الدراسات أنه عندما كانت البلاد العربية تتعاون مع بعضها البعض، كانت تنجح في هزيمة المعتدين. وتبين له أيضا أنه لا يمكن الدفاع عن مصر بمفردها، وهذا ينطبق على بقية البلاد العربية ولكنهم جميعا يستطيعون الوقوف في وجه أي قوة إذا ما اتحدوا. (كمال سعد، د.ت: 09).

لقد أثرت الكلية الحربية تأثيرا كبيرا في بروز وعيه العروبي بعدما تسربت إليه عاطفة العروبة، إذ أن الدراسة في الكلية الحربية بلورت وثبتت مجموعة من المبادئ في فكر عبد الناصر يأتي على رأسها: أن حركة مصر التاريخية تتجه نحو الشرق. وأن الدفاع عن مصر يركز على الشام وبالتحديد فقد كان عبد الناصر يعتقد أن خط غزة/ بئر سبع هو الخط الأخير للدفاع عن مصر وبعده فليس هناك إلا خط المضائق وهو خط يدافع عن قناة السويس والقاهرة، كما أدرك جمال عبد الناصر أن هناك تشابكا في قضية الأمن بين مصر وسوريا بصفة عامة وفلسطين بصفة مركزية. (ناجي علوش، 1997: 486).

إن الجديد الذي أتى به جمال عبد الناصر، من قراءاته السياسية والعسكرية والفكرية التاريخية هو بدايات تبلور إيمانه العميق بوحدة الأمة العربية من الخليج إلى المحيط. وتجلي ذلك بوضوح من خلال الرؤية الناصرية للمسألة، والتي أكدت على جدلية ارتباط قضية الأمن المصري وقضية الأمن القومي العربي. لقد زاد إحساس الشعور بالانتماء القومي العربي في نفسية جمال عبد الناصر بعد محاربته على أرض فلسطين، حيث اكتشف عبد الناصر حينها البعد العربي وحقيقة الوجود الإسرائيلي على أرض فلسطين. وعلى أرض فلسطين تكونت لديه حقيقة أساسية هي أن الدفاع عن مصر مرتبط بالوضع في سوريا وفلسطين هي التي تربط هاتين الحلقتين – مصر و سوريا. وعلى أرض فلسطين تكونت لديه أيضا قناعة على أن العالم العربي وحدة واحدة لا تتجزأ ولم يطل به الأمر لتكريس هذه القناعة، فتجربة الحرب الفلسطينية عام 1948 تركت فعلا أعمق الآثار في ذهن جمال عبد الناصر بل بلورت بشكل حاسم البعد القومي العربي في عقيدته السياسية والفكرية.(بثينة عبد الرحمن التكريتي، 2000: 130).

لقد استفاد الضباط الأحرار من المشاركة في حرب فلسطين خير استفادة، بحيث تأثروا أثناء إعدادهم لحركة الجيش في 23 جويلية 1952 بما كان يدور حولهم في الحياة السياسية، وبما تعرضوا له أثناء حرب فلسطين عام 1948. إذ ظهر ذلك واضحا في الأهداف التي تبلورت حولها أفكارهم(سعد الدين إبراهيم، 1982: 83). هي مطالب ستة دار حولها النضال العربي منذ عصر النهضة الحديثة في القرن الماضي، و كشفت عنها جميع أحاديث وكتابات عبد الناصر. كما عبرت عليها الوثائق الأساسية لثورة 23 جويلية 1952 التي قطعت شوطا بعيدا في ممارستها وهذه المطالب هي: حسب مجدي حماد كالآتي (مجدي حماد، 1994: 201) :

- 1- الديمقراطية في مواجهة الاستبداد بكل صوره ومستوياته.
- 2- الوحدة العربية في مواجهة التجزئة بكل أشكالها القطرية والطائفية والقبلية.
- 3- التنمية المستقلة في مواجهة التخلف أو النمو المشوه والتبعية.

- 4- العدالة الاجتماعية في مواجهة الظلم والاستغلال بكل مظاهره ومستوياته.
  - 5- الاستقلال الوطني والقومي في مواجهة الهيمنة الأجنبية الإقليمية والدولية.
  - 6- التجدد الحضاري في مواجهة التجمد التراثي من الداخل والمسح الثقافي من الخارج.
- لقد كان جمال عبد الناصر رجل دولة وقائد قومي وزعيم للحركة العربية المعاصرة فخطابه يحاول أن يعبر بشكل مترابط على طموحات انتفاضة جماهيرية للشعوب العربية، وعن بروز العرب كعالم تاريخي مستقل. إن التصور القومي العربي في فكر جمال عبد الناصر لا يظهر لنا جليا إلا من خلال الخطاب الناصري وعلاقته بالأمة و القومية العربية وصولا إلى الوحدة العربية (مارلين نصر، 1981: 26).

**أولا: ظهور مفهوم الأمة العربية وتطوره في الخطاب الناصري بين 1952- 1954:** ابتداء من 1954 استعمل جمال عبد الناصر لفظ الأمة بمعنى مجموع العرب، وقبل ذلك التاريخ كان مفهوم الأمة يشير على وجه التحديد إلى مصر، لكن هذا الاستعمال ظل مفتوحا ولم يتبعه على الإطلاق تحديد كالقول مثلا أمة مصرية، فهذا الانفتاح لمفهوم الأمة سمح لعبد الناصر بالانطلاق من المجال المصري ليشمل كل المجال العربي. (أحمد يوسف أحمد، 1995: 210-211).

قبل عام 1954 شغل مفهوما المنطقة العربية والدائرة العربية دور البديل الجزئي أو السابق لاستعمال مفهوم الأمة العربية في خصائص الوحدة إذ أن المنطقة العربية توصف بأنها واحدة ومشاكلها وأحوالها واحدة ومستقبلها واحد وأن الدائرة العربية تشكل صفا واحدا ولعل هذا هو صميم وهدف مصطلح الأمة العربية. (مارلين نصر، 1981: 126).

لقد كان جمال عبد الناصر ينطلق دوما من النظرية إلى التطبيق، وإدراكا منه لحقيقة الموقف العربي كان يدعو إلى التضامن

العربي، الذي يقوم على أساس وحدة الصف ففي الثالث و العشرين من شهر جويلية 1954 أعلن جمال عبد الناصر باسم مجلس قيادة الثورة قائلا: "إن هدف حكومة الثورة أن يكون العرب أمة واحدة" و قوله أيضا: "إن الشعب المصري جزء لا يتجزأ من الأمة العربية" جمال عبد الناصر نادى بأمة عربية وعبر عنها أكثر مما حللها في جذورها وبنينها. ولقد اهتم الفكر الناصري في المرحلة الناصرية في الدولة بتأكيد على عناصر أربعة تشكل أبعاد الأمة و هي: التاريخ، اللغة، الوجدان والأخطار المشتركة،- مشاريع الهيمنة والعدوان.- (ناجي علوش، 1997: 487).

لقد كانت "الأمة العربية" في الخطاب الناصري تعبير عن رابطة ثقافية تاريخية في مكوناتها الموضوعي ورابطة نضال وأمل في بعدها المعاش. فجمال عبد الناصر يقول في هذا الصميم ما يلي: "يكفي أن الأمة العربية، تملك وحدة الأمل التي تصنع وحدة المستقبل و المصير" و قوله: "يكفي أن الأمة العربية تملك وحدة اللغة التي تصنع وحدة الفكر و العقل" و قوله أيضا: "كلنا شعب واحد شعب عربي واحد، فلنكافح جميعا متحدين متكاتفين من أجل حقنا في الحرية، ومن أجل حقنا في الحياة، فلنكافح جميعا ضد الاستعمار و ضد أعوان الاستعمار، لن نقطع أوصالنا مرة أخرى كما قطعت بعد الحرب العالمية الأولى". (ناجي علوش، 1997: 488).

من هذه العبارات يتضح أن مفهوم الأمة عند جمال عبد الناصر، وفي الخطاب الناصري لم يكن مفهوما قديما ميتا فيزيقيا، ولم يكن مفهوما ارتجاعيا ماضويا، وإنما كان مفهوما معاصرا مناضلا هاضما لمتغيرات العصر، مفهوما متحركا في بيئة وظروف دولية ومفهومها مستقبليا (فؤاد مطر، 1972: 07) .

**ثانيا: ظهور مفهوم القومية العربية و تطوره في الخطاب الناصري بين 1955- 1957:**

لقد انتقل جمال عبد الناصر من مفهوم الأمة العربية إلى مفهوم القومية العربية هذا المفهوم الذي غاب عن الخطاب الناصري في

عامي 1953 و 1954. ولم يظهر حتى 1955، رغم أن استعماله ظل محدودا. لكن في عام 1956 شهد مفهوم القومية العربية نهوضا عارما، إذ أنه في خطاب جمال عبد الناصر الذي كان في 22 جويلية 1955 بمناسبة عيد الثورة، استعمل عبد الناصر تعبير القومية العربية بقوله: "هذه المحاولة الفاجرة التي يقصد بها الصهيونيون إلى محو القومية العربية في فلسطين و إحلال إسرائيل"(مارلين نصر، 1981: 209).

قبل الحديث عن القومية العربية لا بد من معرفة مدلول مصطلح قومية (Nationalism)، وكيف كان تكوين هذا اللفظ و ما هي مشتقاته؟ فالقومية مشتقة من كلمة (Nation) أي قوم أو أمة و اشتقت هذه من اللاتينية (Natio) واستعملت مع الزمن لأغراض شتى إلى أن صارت تدل على نسب معين. أي أنها كانت تطلق على قوم يتكلمون لغة واحدة ويجري في عروقهم دم واحد، و لكنها لم تبق كذلك بل اتخذت معنى جديدا منذ القرن السابع عشر، حين استعملها الكتاب -وخاصة في غرب أوروبا- للدلالة على سكان دولة سياسية ذات سيادة تامة لا دخل للغة فيها.(حسن الدجيلي، 1999: 81).

ولقد اشتقت من كلمة قوم كلمة أخرى تغلغلت إلى مختلف اللغات الأوروبية تلك هي التجمع القومي (Nationality)، الذي يدل على جماعة من الناس لهم تقاليد وعادات ولغة وثقافة مشتركة تميزهم عن الأمم الأخرى وهذه الجماعة إما أن يجمعها لواء واحد وتضم شمل أفرادها دولة واحدة، وإما أن يكونوا متفرقين محكومين تتصرف بمقدراتهم السياسية و الاقتصادية. (حسن الدجيلي، 1999: 82-83).

وفي الوقت الذي ظهرت فيه كلمة التجمع القومي في أوروبا ظهرت معها كلمة القومية (Nationalisme). وأصبحت تدل على معان كثيرة أهمها أنها صارت تدل على العملية التاريخية، التي بها يستطيع التجمع القومي أن يضم شمله و يحقق وحدته السياسية ويكون له ما للدولة السياسية الحديثة من مؤسسات ومنظمات في حدود اللغة. أما المعنى الثاني للقومية فهو وليد القرن العشرين وتمثله الدول الدكتاتورية المتطرفة فالقومية هنا حالة ذهنية تتطلب من الفرد أن

يتجرد عن رغباته وأطماعه الشخصية ويوجه جل عنايته ويقدم جميع خدماته إلى بني قومه ويفضلهم على غيرهم من الأمم الأخرى، معتقداً أن لهم رسالة يجب أن تؤدي و قدسية خاصة يجب أن تحترم وشخصية ممتازة يجب أن يبذل كل شيء في سبيل إعلانها.(ناجي علوش، 1997: 136-137).

وفي حديث أبو خلدون ساطع الحصري (أنظر التعليق رقم 03) عن الفكرة القومية وعن مبدأ القوميات وحقوق القوميات على وجه الإجمال يقول: "لا بد من طرح سؤال هام وهو ما هي العناصر، التي تتكون منها القومية وتتألف منها الأمة؟ إن أول ما يخطر على البال في هذا الصدد هو وحدة الأصل و المنشأ. يظن الناس عادة أن كل أمة من الأمم تنحدر من أصل واحد ويزعمون أن جميع أفراد الأمة الواحدة يكونون بمثابة الأشقاء الذين ينحدرون من صلب أب واحد غير أن هذا الظن لا يستند إلى أساس صحيح... ونستطيع أن نقول بكل جزم وتأكيد أن وحدة الأصل والدم في أية أمة من الأمم الاعتقاد بوحدة الأصل وإلى الشعور بالقرابة في الشعوب هي وحدة اللغة والاشتراك في التاريخ". (أبو خلدون ساطع الحصري، 1985: 20-21).

ومهما اختلف الباحثون في صياغة تعريف محدد للقومية، فإنهم متفقون على أنها شعور جماعة من الناس بما يربطهم من روابط مشتركة من الثقافة والنسب يتميزون بها وترجع أصولها إلى الماضي، وتدفعهم إلى اتخاذ مواقف موحدة في كثير من المواجهات الرئيسية في القضايا السياسية بالدرجة الأولى وفي الميادين الثقافية بالدرجة الثانية. (صالح أحمد العلي، 1986: 21).

أساس القومية هو الشعور و الإحساس الذي غالبا ما يكون إيجابيا ظاهرا و إن يكن أحيانا خفيا يقوم بفعله دون أن يدرك صاحبه مسماه. فالقومي هو كل من كانت هذه القوى الموجه الأقوى في تفكيره حيال ما يواجهه من القضايا السياسية والثقافية بنطاقها الواسع، و بصرف النظر عن المواقف التي تخالف في ذلك تجاه القضايا الجزئية فهذا الشعور قد يكون خفيا كامنا في الأعماق لا تعبر عنه الكلمات أي ما يسميه علماء النفس اللاشعور. (صالح أحمد العلي، 1986: 22).

إن القومية تمتد من مواقف أولية في الشعور بالترابط إلى مواقف في التماسك وإبراز الذات ثم الصمود أمام التحديات للحفاظ على الذات، ثم التعالي وحب السيطرة ولكن يبقى أساسها محددًا وقد تضعف القوة القومية ولكنها لن تزول لأن مقوماتها أساسية ودور القومية واضح في الكيان الثقافي والسياسي والاجتماعي من حيث أنها تسود جماعات كثيرة العدد. وإن لم يكن لهذا العدد حد معين ثابت مقرر فإن هذه الجماعات تعيش في الأصل مجتمعة ومتقاربة وتنشئ لها نظامًا تساعد على تنظيمها و تماسكها وقوتها فتصبح خصائص مميزة لها. (صالح أحمد العلي، 1986: 23-24).

وعلى العموم فالقومية هي الشخصية الجماعية لأية أمة أو هي الواقع التاريخي واللغوي و الثقافي، الذي يحوي نتاج ومعطيات التجارب الإنسانية التي خاضتها الجماعة البشرية منذ نشأتها إلى أن تبلورت شخصيتها تبلورا واضحا مميزا قام على تفاعل عدة روابط مشتركة خاصة بهذه الأمة فلكل قومية روابط خاصة وشخصية مميزة. إذ أن القومية موجودة منذ القدم وهي متميزة بتمايز المجموعات البشرية وتجاربها ومن أسسها - القومية- وحدة اللغة والتاريخ والثقافة والوطن والمصالح والعادات والتقاليد والأهداف.(سهير سلطي التل، 1996: 81).

إن القومية ليست جمعا حسابيا لهذه الروابط، وإنما هي التفاعل العميق الذي حدث بين الأفراد بالاستناد إلى تلك الروابط وهذه الروابط هي مظاهر تعبر عن وجود القومية وتؤكد وحدتها وتماسكها. فالقومية لا تتضمن معاني العنصرية أو الانعزالية أو التعصب فلذلك لا يجب الخلط بين الاتجاهات القومية الواعية والاتجاهات القومية المتعصبية والمنتشربة بالغزو القومي فيحيلان واقع الحروب والاستعمار إلى فقدان الوعي القومي الصحيح، إذ أن التمايز بين قوميات هو تميز في الشخصية القومية واختلاف في الطابع القومي وخصائص الرسالة القومية.(أبو خلدون ساطع الحصري، 1985: 09-10).

لقد كان للقومية بعد إنساني فلا إنسانية حقة بغير قومية حقة و لا قومية حقة بغير محتوى إنساني عميق، فالقومية ليست وليدة القرون

الأخيرة بل هي أقدم من ذلك بكثير وما حدث في القرون الأخيرة ما هو إلا تبلور للشعور القومي وهي ليست فكرة بل واقع تاريخي حي قبل تبلور الفكر، كما هي ليست بدعة أوجدها الاستعمار كما تقول بعض الحركات الدينية، فالاستعمار قد يوجد فكرة أو تيارا لكنه لا يستطيع أن يوجد واقعا تاريخيا اجتماعيا. (سهير سلطي التل، 1996: 84-88).

من هذا التعريف الواسع لمفهوم القومية يتضح لنا بأن القومية العربية هي تلك الشخصية الجماعية للأمة العربية، وهي واقع حياة العرب التاريخي واللغوي والجغرافي والثقافي. وكل ما يحوي هذا الواقع من عادات وتقاليد ومصالح وأهداف واحدة و ينتمي إلى القومية العربية كل إنسان يتكلم اللغة العربية وينتسب إلى التاريخ العربي أو يعتز به ويحياه وينتمي إلى المجتمع، الذي يمتد من المحيط الأطلسي غربا إلى الخليج العربي وهضبة إيران شرقا ومن جبال طوروس والبحر الابيض المتوسط شمالا إلى اليمن وشواطئ جنوب جزيرة العرب على المحيط الهندي والصحراء الإفريقية جنوبا. (سهير سلطي التل، 1996: 84-86).

ففي حديث لساطع الحصري عن القومية العربية يقول: "من هو العربي؟ ما هي الأمة العربية؟ وما هي الشعوب التي تدخل في مفهوم كلمة العرب؟ إننا كلما تعمقنا في درس قضايا القومية العامة و كلما توسعنا في درس تاريخ العرب الخاص تأكدنا من الحقائق التالية:

المصريون والسوريون واللبنانيون والفلسطينيون والعراقيون و النجديون والحجازيون واليمنانيون والليبيون والتونسيون والمغاربة، كلهم ينتسبون إلى أمة واحدة هي الأمة العربية، فهناك شعوب عربية عديدة و لكن هذه الشعوب كلها تنتسب إلى أمة واحدة هي الأمة العربية، وهناك دول عربية عديدة ولكن هذه الدول كلها تسوس فروع أمة واحدة هي الأمة العربية". (أبو خلدون ساطع الحصري، 1985: 49-48).

من هنا يتضح لنا بأن ساطع الحصري يعتبر العناصر الأساسية في تكوين القومية هي وحدة اللغة ووحدة التاريخ، وما ينتج عن ذلك من مشاركة في المشاعر والمنازع و في الآلام والأمال. فهو حسب رأيه أن جميع الناطقين بالضاد وجميع أبناء البلاد العربية يكونون أمة واحدة بهذا الاعتبار، وما القومية العربية إلا الشعور والإيمان بوحدة هذه الأمة و هي تحتم العمل بكل نشاط لإزالة الحواجز القائمة بين أجزائها العديدة لتحقيق الوحدة في كل الميادين بصورة فعلية.(أبو خلدون ساطع الحصري، 1985: 145).

فالقومية العربية إذن هي هوية الإنسان العربي تجاه أبناء الأمم و القوميات الأخرى وهي مرآة الأمة العربية بما تحمله من تاريخ وثقافة و حضارة هذه الأمة المعنوية والمادية كما تحمل وتعبر عن أحلامهم وآمالهم وإرادتهم. إن الانتماء إلى أمة ما يخلق في داخل الإنسان شعورا من العاطفة نابعا من العمق الوجداني، إنها العاطفة التي تربط الإنسان بمحيطه الاجتماعي الانتمائي، الانتماء إلى تاريخ واحد ولغة واحدة وثقافة واحدة الانتماء إلى حاضر واحد ومستقبل واحد الانتماء إلى أرض واحدة وآمال واحدة.(محمد طارق قائد بيه، 2001: 05).

وهذا يعني أن القومية العربية هي حب قبل كل شيء، وهي العاطفة نفسها التي تربط الفرد بأهل بيته لأن الوطن بيت كبير والأمة أسرة واسعة. والقومية ككل حب تقعم القلب فرحا وتشيع الأمل في جوانب النفس. و الإنسان القومي العربي الصادق في انتمائه يجب أن ينتمي بعاطفته إلى كافة أقاليم الوطن العربي على السواء لا يفضل إقليما عن غيره من الأقاليم لأنها في البداية والنهاية امتداد لا يتجزأ من أرض الوطن العربي، وهذا ما عير عنه جمال عبد الناصر في معرض حديثه عن فلسطين حيث قال: "و حين كنت أسأل نفسي في ذلك الوقت: لماذا أخرج في حماسة ولماذا أغضب لهذه الأرض التي لم أرها؟ لم أكن أجد في نفسي سوى أصداء العاطفة".(محمد طارق قائد بيه، 2001: 06-07).

فما هو أبو خلدون ساطع الحصري يقول: "أنا أسلم بأن القومية العربية ليست- ولن تكون- استعلائية واستيلاءيه، بل أنها قومية مسالمة تعرف مالها وما عليها من حقوق وواجبات تجاه سائر القوميات. ولكني لا أسلم بأن القوميات التي ظهرت في أوروبا في القرن التاسع عشر كانت استعلائية واستيلاءيه ولا أرى من الحق والصواب أن تربط قضايا الاستعمار والاستعباد بظهور القوميات المذكورة". (أبو خلدون ساطع الحصري، 1987: 63-64).

من هذه المقولة لساطع الحصري يتضح بأن القومية العربية بحاجة إلى تجديد، فليس في ذلك شك إذ ما قارنا ما هو عليه الآن بما كان عليه في الفترة، التي تلت الحرب العالمية الثانية. إذ كان الحديث يدور حول النهضة والتقدم ولكن بعد الحرب العالمية الثانية كان الفكر العربي إلى حد بعيد يعتبر القومية العربية هي أساس التقدم، ويعتبر الوحدة العربية هي الهدف الأول و الأكبر.(سعدون حمادي، 1986: 25).

وقد صاغ الفكر العربي موقفا محددا من كل ذلك فالقومية العربية لا يمكن أن تتناقض مع الإنسانية ولا يمكن أن تتناقض مع الإسلام، ولكنها متناقضة مع القطرية ومع الطائفية فالقومية رابطة روحية تنبع من عوامل معنوية ومادية. لذلك فهي روح إنسانية تنبع من النضال من أجل التحرر من الظلم والاستعمار والاستغلال وتتبع من وشائج الحب و شعور الجماعة الذي يتكون من الفرد، والذي ينعكس في نظرتة على أبناء أمته وبالضرورة على أبناء الأمم الأخرى.(سعدون حمادي، 1986: 26).

إن تكوين الدولة لا بد من أن يكون على أساس قومي و النهضة العربية، لا بد من أن يكون محفزها القومية العربية. فلا يمكن تصور قيام دولة تضم كل العالم في المستقبل القريب ولا في المستقبل البعيد كما لا يمكن تصور قيام دولة تضم جميع المسلمين في العالم ومن ناحية أخرى لا يمكن قبول ولا تصور أن عجلة التقدم يمكن أن ترجع إلى الوراء فتقوم الدولة الطائفية أو الدولة القطرية، التي هي

موجودة الآن وسبب وجودها معروف و كيفية قيامها معروفة أيضا وهي تعاني من علة جوهرية تتعلق بجوهر مسألة التقدم. وهي استحالة قيام تنمية حقيقية توصل الدولة إلى مستوى الدول الصناعية المتقدمة الآن من حيث مستوى المعيشة والقوة الاقتصادية والتقنية لسبب جوهرى هو ضيق السوق وعدم تكامل الموارد وضيق الرقعة الجغرافية من جهة وغياب الحافز من جهة أخرى، إذ لا سبيل للتقدم غير الدولة القومية التي تستطيع وحدها تحقيق ذلك.(سعدون حمادي، 1986: 26-27).

فيجب أن لا نشك أبدا في أن العرب أمة واحدة لها ماض مجيد ولديها من القوى المادية والمعنوية الكامنة ما يكفل اكتساب مجد جديد لا يقل شأنًا عن مجدها القديم.(أنور عبد المالك، 1988: 573-574). ولعل هذا ما تطرق إليه ساطع الحصري في حديثه عن الأمة العربية بقوله: "إن أهم ما لفت نظري في كتابات المعارضين لفكرة الاتحاد هو استرسالهم في نعت الفكرة بالخيالية و إسرافهم في الدعوة إلى الواقعية... ولو كان الناس كلهم واقعيين بالمعنى الذي يقصده دعاة الواقعية في أمر اتحاد البلاد العربية ما كان تيسر للبشرية أي تقدم كان في أية ساحة من سوح الحياة السياسية والاجتماعية، فكل حركة تقدمية إنما تبدأ بالخروج على الأمر الواقع وكل نهضة قومية إنما تنشأ من العصيان على الوضع الراهن".(أبو خلدون ساطع الحصري ، 1985: 10-09).

إن فكرة القومية العربية صادفت في طريق سيرها وانتشارها عراقيل كثيرة وعقبات خطيرة، ولقد تغلبت على الكثير منها منذ بداية القرن الحالي فإنها اخترقت أولا السد المنيع الذي كانت تكون من امتزاج فكرة الجامعة العثمانية بمعنوية الخلافة الإسلامية، وهي على وشك الانتهاء من التغلب على العقبات التي كانت تعترض طريقها باسم الرابطة الشرقية من ناحية والرابطة الإسلامية من ناحية أخرى. و في هذا المجال يقول أبو خلدون ساطع الحصري ما يلي: "يتضح لنا أن الديانة الإسلامية لعبت دورا هاما في تقدم القومية العربية وتوسعها، لأنها كانت القوة الدافعة للفتوحات العربية التي نشرت اللغة العربية ووسعت نطاق القومية ضد عوامل التفرع والتفتت وصانته

بذلك القومية العربية من الانشطار في عهد انحطاطها الطويل. ولكن ذلك لا يعني أن القومية العربية ظلت مرتبطة بالديانة الإسلامية، لأنه قد تكونت أمم إسلامية غير عربية من ناحية وجماعات عربية غير مسلمة من ناحية أخرى". (أبو خلدون ساطع الحصري ، 1985: 209).

وصفوة القول أن القومية العربية هي الركيزة الأساسية للجامعة العربية، فهي المنطلق الذي تنبعث منه تلك الجامعة الجلية لتحقيق مراميها لبلوغ أقصى مآربها. والقومية هي العقيدة الراسخة المتأصلة الثابتة التي يدين بها كل ناطق بالضاد في المعمور العربي، وهي الشعور المشترك الذي لا خروج فيه ولا ارتداد عنه و هي السبيل الأكيد إلى تمثيل واستعادة مجد العرب في يومهم الحاضر وفي غدهم المرتقب المشرق بإذن الله". (مصطفى الشهابي، 1964: 17).

لقد أصبحنا الآن في البلاد العربية مضطرين اضطرارا فكريا وزمنيا بأن نواجه مشاكلنا بفكر جديد ومنظور جديد لا يعتمد على القومية، ولكن يعتمد على الوحدة بشكل مدروس دراسة معمقة للوحدة بين البلاد العربية.

إن من الملاحظ في البداية على الخطاب الناصري، هو أن استعمال مصطلح القومية العربية كان مقصورا على فلسطين، ولم يكن قد أعلن بعد أن القومية العربية هي قومية كل العرب. لكن في خطاب 26 جويلية 1956 الذي تضمن إعلان تأميم قناة السويس، أكد فيه جمال عبد الناصر بأن القومية العربية هي قومية المصريين وكل العرب بقوله: "قوميتنا العربية" و "لنا قومية تجمعنا من المحيط إلى الخليج" و قوله أيضا: "يجب أن نكون كعرب قومية واحدة". (مارلين نصر، 1981: 209-2010).

إن ظهور مفهوم القومية العربية في الخطاب الناصري، وعرفانه لنهوض كبير بين عامي 1955 و 1956 كان بسبب حلف بغداد عام 1955 (أنتوني ناتنج، 1993: 111-112). الذي سعت فيه

الدول الاستعمارية وبصفة خاصة بريطانيا، وبدعم من الولايات المتحدة الأمريكية الهيمنة على كل الدول العربية في المشرق. وعندما شعرت مصر الناصرية بخطر الرجوع مجددا إلى عهد السيطرة الاستعمارية أو الوقوع في عزلة، قاومت هذا الحلف مقاومة صريحة وتضامنت الحركات الشعبية في مختلف بلدان المشرق مع مصر مثل: مظاهرات واحتجاجات في سورية والعراق ولبنان والأردن. وهي حركات فسرها عبد الناصر بأنها تدل على شعور قومي مشترك وهوية عربية مشتركة بقوله: "لقد قاومناه - الاستعمار- قاومنا هذه الدسائس، وكان الوعي العربي وكانت القومية العربية قد استيقظت واشتعلت واتقدت في جميع البلاد العربية... فلم يستطع الاستعمار أن يحقق أغراضه وانتصرت القومية العربية عليه" (مارلين نصر، 1981: 212).

وفي موضع آخر يتحدث جمال عبد الناصر عن الإنسان العربي المؤمن بقوله: "نحن لم نفرق في يوم من الأيام بين العربي المسلم و العربي المسيحي والعربي اليهودي، لقد عاش الجميع جنبا إلى جنب في المنطقة دون خلافات"، (ناجي علوش، 1997: 488). فالقومية العربية في الخطاب الناصري تعزز بتراثها الإسلامي، وتعتبره من أعظم مصادر طاقتها النضالية. وهي في تطلعها إلى التقدم ترفض منطق هؤلاء الذين يريدون تصوير روح الإسلام على أنها قيد يشد إلى الماضي. وهي ترى أن روح الإسلام حافزا يدعو إلى اقتحام المستقبل على توافق و انسجام كاملين، مع مطالب الحرية السياسية والحرية الاجتماعية، والحرية الثقافية (أحمد حمروش، 1977: 383-385).

**ثالثا: ظهور مفهوم الوحدة العربية وتطوره في الخطاب الناصري بين 1958- 1970:**

كانت الوحدة السورية - المصرية عام 1958، بداية الاهتمام المتزايد الذي أخذ يحظى به مفهوم الوحدة العربية في الخطاب الناصري، فخلال المرحلة الأولى (1952- 1957) لم يكن عبد الناصر يشير إلى هذا المفهوم إلا فيما ندر. وفي الحالات التي كان يأتي فيها على ذكره كان ينطوي على معنى يختلف عن المعنى الذي

اتخذها في عام 1958. فهذا هو جمال عبد الناصر في حديثه عن مشاركته في حرب فلسطين يقول: "ولقد بدأت أومن بكفاح واحد مشترك وأقول لنفسني: ما دامت المنطقة واحدة ومشاكلها واحدة ومستقبلها واحدا والعدو واحدا مهما حاول أن يضع على وجهه من ألقعة مختلفة فلماذا نشئت جهودنا؟" (مارلين نصر، 1981: 277).

لقد عمل جمال عبد الناصر على إجراء اتصالات من أجل توحيد الكفاح على الصعيد العربي بقوله: "ثم زادتني تجربة ما بعد ثورة 23 يوليو إيمانا بهذا الكفاح الواحد وضرورته، ولقد بدأت أخيرا في اتصالات سياسية من أجل توحيد الكفاح مهما كانت و سيلته، ولست أشك دقيقة أن كفاحنا الواحد يمكن أن يعود علينا وعلى شعوبنا بكل الذي نريده لها ونتمناه" (مارلين نصر، 1981: 278).

أثار جمال عبد الناصر و لأول مرة مسألة الوحدة على الصعيد العربي في إطار الصيغة التالية: "لقد كان ميثاق الضمان الجماعي تكميلا وتتبجا وتدعيما لميثاق جامعة الدول العربية، كما يؤدي إلى توحيد خطط جيوشنا وتنسيق العمل بينها. ويتناول التعاون الاقتصادي فيما بيننا جميعا... وننتظر أن نجني في القريب العاجل ثمار مستقبل عظيم ووحدة كاملة وقوة عربية خالصة" (مارلين نصر، 1981: 278-279).

لقد أشار جمال عبد الناصر إلى الوحدة الاستراتيجية التي تهدف إلى توحيد الجيوش العربية وإقامة نظام دفاع عربي مشترك، وتعاون اقتصادي. إذ كان قد وقع في السادس من مارس 1955 مشروع قيادة موحدة للجيوش بين مصر وسوريا والسعودية، ولقد جاء ذلك كرد على حلف بغداد وبالتالي فالمعنى الذي أضفاه عبد الناصر على مفهوم الوحدة العربية في المرحلة الأولى كان يعني الوحدة العربية العسكرية ووحدة الدفاع إزاء الاستعمار. (ناجي علوش، 1997: 487-488).

### الخاتمة:

جمال عبد الناصر كان مدركا لحقيقة الظلم الاجتماعي الواقع على الجماهير العربية، وكان مدركا للعلاقة الوثيقة بين الاستعمار و إسرائيل والرجعية العربية التي تحاول عرقلة الوحدة رغبة في

المحافظة على الامتيازات، والنهب المستمر لثروات الأمة على حساب شعبها العربي من عمال وفلاحين ورأسماليات صغيرة منتجة فعبد الناصر وعذلك وربط بين قضية الوحدة وقضية الاشتراكية. حيث لا يمكن أن تتم وحدة وهناك مصالح اجتماعية متميزة تريد أن تحافظ على تمايزها ولا يمكن قيام وحدة دون تحالف واسع معبر عن أصحاب المصلحة في الوحدة ومدافع عن قيامها وبقائها. إن الوحدة العربية شرط أولى للبقاء العربي و التحرر العربي وعلى المستوى عينه هي شرط أولى للتقدم العربي، وهي ضرورة حتمية أمام شعور هؤلاء البشر المنتشرين من الخليج إلى المحيط بأنهم ينتمون إلى أمة واحدة ويجمعهم مصير مشترك، وأمام مفاعيل الهيمنة الإمبريالية وضغوطها ونهبها للشعب العربي فضلا عن تهديداتها المتواصلة، ولا سيما الكيان الصهيوني كما لا ننسى دور النزعة العربية الهادفة إلى التقدم وإلى دخول العصر، وتأكيد الذات و أهميتها للوصول إلى الوحدة العربية.

#### التعليقات والشروح:

التعليق رقم 01: جمال عبد الناصر (1918- 1970): زعيم وقائد الثورة العربية القومية المناهضة للاستعمار والداعية للتحرر والاستقلال ينتسب إلى قرية بني مر إحدى قرى الصعيد المصري، وهي قرية من قرى مديرية أسيوط، ولد في الخامس عشر من شهر جانفي 1918، حاول إنشاء وحدة عربية يجمع فيها العرب كافة ضد أي غزو خارجي لكنه توفي في 28 سبتمبر 1970 وبقيت تجربته حركة تاريخية نحو الوحدة و العدل الاجتماعي. (بثينة عبد الرحمن التكريتي، 2000: 57-67).

التعليق رقم 02: قرية الخطاطبة قرية نائية واقعة على أطراف الصحراء بالقرب من دلتا نهر النيل. (بثينة عبد الرحمن التكريتي، 2000: 62).

التعليق رقم 03: ساطع الحصري (1879- 1968): من أوائل الذين وضعوا لبنات الوحدة الثقافية باعتبارها خطوة في تحقيق الوحدة العربية، و لد في صنعاء اليمن عام 1879 له مجموعة كتب متعلقة

بالقومية عموما والقومية العربية خصوصا توفي في بغداد عام 1968.  
(طارق الهاشمي، 1986: 303).

### المراجع:

- أحمد أحمد يوسف، (1995)، المجموعة الكاملة لخطب وأحاديث وتصريحات جمال عبد الناصر 1952 – 1954 بناء الثورة في مصر، ج1. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- إبراهيم سعد الدين، (1982)، مصر والعروبة وثورة يوليو. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- الدجيلي حسن، (1999)، قراءات في الفكر القومي: القومية العربية فكرتها ومقوماتها. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- الهاشمي طارق، (1986)، "الفكر القومي العربي لجمال عبد الناصر". ورقة قدمت إلى: تطور الفكر القومي العربي: بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمتها مركز دراسات الوحدة العربية، بالإشتراك مع المجمع العلمي العراقي، إتحاد المؤرخين العرب، معهد البحوث و الدراسات العربية، بيروت: المركز.
- الحصري أبو خلدون ساطع، (1985)، محاضرات في نشوء الفكرة القومية. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- الحصري أبو خلدون ساطع، (1985)، آراء وأحاديث في الوطنية و القومية. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- الحصري أبو خلدون ساطع، (1985)، آراء وأحاديث في القومية العربية. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- الحصري أبو خلدون ساطع، (1985)، في اللغة و الأدب وعلاقتها بالقومية. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- الحصري أبو خلدون ساطع، (1985)، العروبة بين دعائها ومعارضيتها. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- الحصري أبو خلدون ساطع، (1985)، ماهي القومية؟ أبحاث ودراسات على ضوء الأحداث و النظريات. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- الحصري أبو خلدون ساطع، (1987)، حول القومية العربية. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- حمادي سعدون، (1986)، "تجديد الحديث عن القومية العربية". ورقة قدمت إلى: اللغة العربية و الوعي القومي: بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمتها مركز دراسات الوحدة العربية، بالإشتراك مع المجمع العلمي العراقي، معهد البحوث و الدراسات العربية، بيروت: المركز.
- حمروش أحمد، (1977)، قصة ثورة 23 يوليو: خريف عبد الناصر، ج5. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات و النشر.

- حماد مجدي، (1994)، ثورة 23 يوليو 1952. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- مطر فؤاد، (1972)، أين أصبح عبد الناصر في جمهورية السادات. بيروت: دار النهار للنشر.
- ناتج أنتوني، (1993)، ناصر. ترجمة: شاكر إبراهيم سعيد. القاهرة: مكتبة مدبولي.
- نصر مارلين، (1981)، التصور القومي العربي في فكر جمال عبد الناصر (1952-1970): دراسة في علم المفردات والدلالة. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- عبد الرحمن التكريتي بثينة، (2000)، جمال عبد الناصر: نشأة وتطور الفكر الناصري. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- عبد المالك أنور، (1988)، "بين القومية العربية والإسلام في صياغة عالم جديد". ورقة قدمت إلى: القومية العربية والإسلام بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمتها مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت: المركز.
- العلي صالح أحمد، (1986)، "الشعور القومي العربي عبر التاريخ: مقومات القومية العربية ومظاهرها عبر التاريخ". ورقة قدمت إلى: تطور الفكر القومي العربي: بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمتها مركز دراسات الوحدة العربية، بالإشتراك مع المجمع العلمي العراقي، إتحاد المؤرخين العرب، معهد البحوث و الدراسات العربية، بيروت: المركز.
- علوش ناجي، (1997)، الحركة العربية القومية في مائة عام: 1875-1982. عمان: دار الشروق للنشر و التوزيع.
- سعد كمال، (دب)، ناصر حبيب العرب. بيروت: المكتبة العصرية.
- قائد بيه محمد طارق، (2001)، أركان القومية العربية: ثوابت في خضم المتغيرات. بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر.
- الشهابي مصطفى، (1964)، "العروبة في يومها المجيد وغدها المأمول". المصور، عدد خاص شهر مارس.
- التل سهير سلطي، (1996)، حركة القوميين العرب و انعطافاتها الفكرية. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

### للإحالة على هذا المقال:

- قدور بوجلال، (2023)، « التصور القومي العربي في فكر جمال عبد الناصر 1952-1970 على ضوء خطاباته الرئاسية». المواقف، المجلد: 19، العدد: 01، جوان 2023، ص.ص 877-896.